مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

تَصْدُرعَنْ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَة قِسْمُ الشُّؤوْن الفِكْرِيَّةِ والثَقَافِيَّة

مَرْكَزتُراثْ كَربلاء

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيْمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَمْهُوْرِيَّةِ الْعِرَاقِ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

السنة الأولى/ المجلَّد الأوّل/ العدد الأول

١٤٣٥-١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م

وقائع ثورة الامام الحسين (عليه السلام)

دراسة في ضوء حقوق الانسان

Imam Hussein (Peace be upon him) Incidents Revolution
A study in the light of Human Rights

أ. م. د. إياد محمد علي الأرناؤطي

جامعة بغداد

كلية التربية (ابن رشد)

قسم علوم القرآن

Asst. Prof. Dr. Ayad Mohamad Ali al-Arnaootty

Baghdad University

College of Education/ Ibn-Rashed

Dept. Quran Science

الملخص

إن امعان النظر في ثورة الإمام الحسين عليه السلام مهم وضروري، وذلك أن أي ثورة لم تحقق من العناية والإهتمام البحثي ماحققته ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لأنها مختلفة، نعم مختلفة، وسبب اختلافها نابع من مشروعها الإنساني الذي يغطي جوانب الإنسانية جمعاء.

ولأن هذه الثورة بهذه الصفة، ولأن الدراسات تلاقفتها واحتفت بها، رغبت هذه الدراسة في النظر في واقعة الثورة الحسينية من صميم هذا التميز، فخصصت حقلها بمنظور (حقوق الإنسان) منطلقة من تكليفين واقعي، وظاهري.وقد حاولت أن تمد تلك الجسور بين مفاصلها المتنوعة بتنوع تلك الحقوق، رابطة الماضي الحي بالحاضر.

Abstract

Studying the revolution of Imam Hussein is strikingly important. This revolution was unparalleled by any other revolution.The difference between this revolution and any other revolution stems from the fact that it deals with a humanitarian agenda covering the main aspects of humanity in general.

The revolution was so distinctive and celebrated by a number of studies.For this reason، this study tried to look at this revelation in terms of this distinction taking into considerations two directions; realistic and theoretical.It also tried، as part of its human rights perspectives to bridge the gap between the part and the present.

المقدمة

في دراسة وقائع الثورة الحسينية ينبغي ان نستحضر ما قاله بعض العلماء من ان للإمام الحسين عليه السلام تكليفين: واقعي، وظاهري:

اما الواقعي الذي دعا الإمام الحسين عليه السلام للإقدام على الموت، وتعريض عياله للأسر، واطفاله للذبح، مع علمه بذلك، فالوجه فيه: ان عتاة بني امية قد صوروا انفسهم انهم على الحق، وان علياً واولاده وشيعتهم على الباطل، حتى جعلوا سبه من اجزاء صلاة الجمعة، فبلغ الحال ببعضهم انه نسي اللعن في خطبة الجمعة فذكره وهو في سفره فقضاه! فلو بايع الإمامُ الحسين عليه السلام يزيدَ، وسلم الأمر اليه، لم يبق من الحق أثر، فإن كثيراً من الناس يعتقد بأن مهادنة بني امية دليل استصواب رأيهم، وحسن سيرتهم، وأما بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فقد تبين لأهل زمانه، والأجيال المتعاقبة، أحقيته بالأمر، وضلال من بغى عليه.

واما التكليف الظاهري فلأنه عليه السلام سعى في حفظ نفسه، وعياله بكل وجه، فلم يتيسّر له، وقد ضيقوا عليه الأقطار، حتى كتب يزيد الى عامله على المدينة ان يقتله فيها، فخرج منها خائفاً يترقب، فلاذ بحرم الله الذي هو أمن الخائف، وكهف المستجير، فجدوا الى إلقاء القبض عليه، او قتله غيلة، ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة، فجعل إحرامه عمرة مفردة، وترك التمتع بالحج، فتوجه الى أهل الكوفة، لأنهم كاتبوه، وبايعوه، وأكدوا ضرورة المسير اليهم، لإنفاذهم

من شرور الامويين، فألزمه التكليف بحسب ظاهر الحال الى موافقتهم إتماما للحجة عليهم، لئلا يعتذروا يوم الحساب بأنهم لجأوا اليه، واستغاثوا به من ظلم الجائرين، فاتهمهم بالشقاق ولم يغثهم، مع انه لم يرجع اليهم فإلى أين يتوجه، وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت وهو معنى قوله لابن الحنفية: لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لا ستخرجوني حتى يقتلوني! وقال لأبي هرة الازدي: ان بني امية اخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت[1]. لذا سنراعي في دراستنا المتواضعة هذه التكليفين معاً.

(الحق) في اللغة:

ذكر الراغب الاصفهاني للحق أربعة معانٍ، رابعها: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب كقولنا: فعلك حق، وقولك حق... ويقال أحققت كذا أي اثبتّه حقاً، او حكمت بكونه حقاً[٢]. يلحظ انه: لابد من طرفين احدهما: له الحق، والآخر: مكلف، عليه الحقّ، فهما متضايفان لا يعقل احدهما من دون الآخر، ولابد من مرجعيّة للحق، سواء اكانت هذه المرجعية للعقل الحاكم بالأدلة، أم لها حق التشريع.

الحقوق في الحياة الإنسانية:

أفاض امير المؤمنين علي عليه السلام في الحديث عن الحقوق في الحياة الإنسانية في خطبة له، فقال:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً للهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا

إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ[٣].

ومن هذه الخطبة تتضح رؤية امير المؤمنين عليه السلام في مسألة الحقوق، إذ هي رؤية الاسلام وهذه فحواها:

ان الحقوق مجعولة من الله تعالى، فله وحده حق تشريعها.

١. على الرغم من حلاوة الحق في الكلام، في الانسان ميل غريزي لإجحاف حقوق غيره، فَالحَقُّ اوسَعُ الأشْيَاءِ في التَّواصُفِ وأَضْيقُهَا في التَّنَاصُفِ.

٢. تضايف الحقوق سنة إلهية مطردة لا يستثنى منها مخلوق، فمن وجب له حق على احد وجب عليه حق تجاهه (لا يجري لأحد إلاّ جرى عليه ولا يجري عليه إلاّ جرى لَهُ).

٣. لم يستثنِ الله تعالى ذاته المقدسة من هذه السنة المطّردة، اذ جعل لنفسه حقوقاً على خلقه، وجعل لخلقه حقوقاً عليه، تفضلاً منه ورحمة.

وقد جاء في الحديث الشريف عن معاذ بن جبل: "يا معاذ بن جبل هل تدري ما

حق الله على عباده، وما هو حق العباد على الله؟ فإنَّ حق الله على العباد: ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: لا يعذب من لا يشرك به شيئاً"[٤].

٤. لو كان الحق يجري لأحد ولا يجري عليه لكان الاجدر بذلك هو الله تعالى، لسببين:

الأول: انه القادر المطلق، فلا يعجزه شيء، يستطيع ان يقهر عباده على حقوقه، ويحملهم عليها، ولا يعطيهم شيئاً.

الثاني: انه لو لم يجزهم بأعمالهم، ومع ذلك كلّفهم بها لكان عادلا، لان له من النعم على العباد ما لو عبدوه مدى الدهر لم يوفوه حقّ نعمة واحدة منها"[٥].

٥. جعل الله حقوقه حقوقاً لبعض الناس على بعض، فهي حقوق مزدوجة الجانب، من انتهكها انتهك حقَّين، احدهما حق الله الذي افترضه لنفسه، والآخر للطرف الذي افترض اللهُ له الحق.

٦. لا تستقيم الحياة الانسانية وتصلح إلاّ برعاية الحقوق، حق الله، والحقوق المتبادلة بين البشر، والتي هي من وجه آخر حقوق لله.

(حقوق الإنسان) في التاريخ القديم:

إذا كانت الدعوة الى احترام حقوق الانسان، بمصطلحها هذا، وليدة النهضة المعاصرة، فإن جذورها تمتد عميقاً في التاريخ الإنساني، فالتنازع في العيش على هذه الارض، يقتضي العداوة، المنصوص عليها في ثلاث آيات من كتاب الله[٦]، فكلما قوي انسان على آخر ضعف أثر التعاون الاجتماعي، وحكم العدل، فلا يراعيه القوي في حق الضعيف، وعلى ذلك جرت احداث التاريخ الى يومنا

هذا، ...فصار القوي يستفيد من الضعيف اكثر مما يفيده، وانتفع الغالب من المغلوب من غير ان ينفعه، ويقابله الضعيف المغلوب ما دام ضعيفاً مغلوباً بالحيلة والمكيدة والخدعة، فإذا قوي وغلب قابل ظالمه بأشد الانتقام، فكان بروز الاختلاف مؤدياً الى انتهاك حقوق الانسان، وفناء الفطرة، وانتفاء السعادة. وهذا الاختلاف ضروري الوقوع بين افراد المجتمع الانساني بالنظر لطبيعة حياة البشر من جانب، والفروق الفرديّة بين البشر من جانب آخر، وظهور هذا الاختلاف هو الذي استدعى تشريع قوانين كليّة يوجب العمل بها ارتقاع الاختلاف، ونيل كل ذي حق حقه، وفرضها على الناس، ولرفع الاختلاف بين الناس من طريق تشريع القوانين، ثلاث طرائق، هي:[٧]

الاولى: سيادة القوانين المبنيّة على الاعراف الاجتماعية مع إلغاء المعارف الدينية من التوحيد والاخلاق الفاضلة، فالأخلاق تابعة للتطور الاجتماعي، فما وافق حال المجتمع من الاخلاق فهو الخلق الفاضل.

الثانية: فرض القوانين على المجتمع عن طريق التربية الاخلاقية، مع إلغاء المعارف الدينية ايضاً.

وكلتا الطريقتين فاشلة في تحقيق سعادة الانسان، فإغفال المعارف الدينية اغفال للغاية التي خلق لأجلها الخلق وللمصير الذي سيؤولون اليه.

الثالثة: التشريع الإلهي المبني على عقيدة التوحيد التي بعث بها النبيّون، هذا التشريع قائم على اساس ان للإنسان حياة باقية بعد الارتحال من هذه الدنيا، حياة طويلة الامد، وهي مترتبة على هذه الحياة الدنيوية، وكيفية سلوك الانسان فيها، فإذا بنى الانسان حياته في هذه الدنيا على نسيان توحيد الله، فقد أهلك نفسه.

لذا شرع الله سبحانه ما شرعه من الشرائع على اساس التوحيد، اي على اساس تعليم الناس وتعريفهم حقيقة امرهم من مبدئهم الى معادهم، وانهم يجب ان يسلكوا في هذه الدنيا حياة تنفعهم في غد ويعملوا في العاجل ما يعيشون به من الآجل، وقرن سبحانه بعثة الانبياء بالتبشير والانذار، بإنزال الكتاب المشتمل على الاحكام والشرائع الرافعة لاختلافهم، فالذين رفضوا التشريع الإلهي رفضوا الايمان بالمعاد، قال تعالى على لسانهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٨]، فانهم إنما كانوا يصرون على قولهم ذلك، لا لدفع القول بالمعاد فحسب، بل لأن القول بالمعاد والدعوة اليه يقتضي طاعة قوانين دينية مشتملة على احكام تشريعية: من العبادات والمعاملات، والسياسات، اي ان القول بالمعاد كان يستلزم التدين بالدين، واتّباع احكامه في الحياة، ومراقبة النفس في جميع الاحوال والاعمال.

وبذلك ظهر تنازع جديد بعد انزال الكتاب الإلهي بالحق، هذا التنازع خلق انتهاكا لحقوق الانسان، ابتداء من قتل قابيل هابيل، ومروراً بكل اشكال الظلم والعدوان التي غصّت، وتغص بها الحياة البشرية، نتيجة الانحراف عن رسالات الله، التي تلبي حاجات الفطرة السّليمة التي فطر الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حنيفاً فِطْرَةَ الله الّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيلَ لِخَلقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكنّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩].

لقد "عانت الانسانية منذ ان ظهر الطاغوت على الارض ألوانا من القهر لكرامة الانسان، والسحق لإرادتـه، والمصادرة لحرياته، من خلال طغيان الطواغيت، وجور السلاطين، إذ كثيراً ما كان يأخذ ابعاداً مأساوية دموية ينتهي

الى قتل الآلاف من البشر، وتشريد ضعافهم، وهتك اعراضهم، والغارة على الاخضر واليابس من مقومات معاشهم وممتلكاتهم"[١٠].

وقد ولد الانسان، وولد معه الشّعور الفطري بحقوقه، ولكن وعي هذه الحقوق، والتّمتع بها، والجهاد لاستردادها حينما تستلب، شهد مسيرة طويلة في التّاريخ البشري وضع أساسها الأنبياء عليهم السلام، وستبقى مسيرة المطالبة بها مستمرة طالما وجد ظالم ومظلوم على هذه الأرض، وطالما عطلت حاكميّة شريعة الله، حتى إقامة دولة العدل المهدويّة.

مفهوم (حقوق الإنسان) في العصر الحديث:

درج مؤرخو حقوق الانسان على تغافل ما قدّمته الرّسالة الإسلامية في هذا الميدان، فأرخوا القرن الثّامن عشر انطلاقة في مسيرة هذه الحقوق، إذ صدر الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان في (٢٨/ ٨/ ١٧٨٩) الثّامن والعشرين من شهر آب سنة تسع وثمانين وسبعمئة وألف، إذ أصبح جزءاً من الدّستور الفرنسي في (٣/ ٩/ ١٧٩١) الثّالث من أيلول سنة إحدى وتسعين وسبعمئة وألف[١١].

وفي العاشر من كانون الأول عام ثمانية وأربعين وتسعمئة وألف (١٠/ ١٢/ ١٩٤٨) شهد التّاريخ البشري إقرار هيأة الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إثر تعاظم الدّعوة البشريّة العارمة المطالبة بتلك الحقوق بعد معاناة طويلة استمرت قرونا متطاولة[١٢].

يعني مصطلح (حقوق الإنسان) اليوم: تلك الحقوق الطبيعيّة الأساسيّة المتصلة بشخصه بوصفِهِ آدميًّا[١٣] ويستوي فيها جميع بني الإنسان»[١٤] فهي

امتيازات يستحقها الإنسان من حيث إنه إنسان.هذه الحقوق تتسم بسمتين:

إحداهما: أنّ بني الإنسان ينالونها بالتّساوي، بلا تفاضل بينهم.

جاء في ديباجة العهد: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشريّة وبحقوقهم المتساوية الثّابتة هو أساس الحرية والعدل والسّلام في العالم.ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجيّة آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليهِ عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحريّة القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة، ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التّمرد على الاستبداد والظالم.ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسيّة وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرّقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحريّة أفسح، ولما كانت الدّول الأعضاء قد تعهدت بالتّعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الانسان والحريات الأساسيّة واحترامها، ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهميّة الكبرى للوفاء التّام بهذا التّعهد فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الاعلان العالمي لحقوق الانسان على انه المستوى المشترك الذي ينبغي ان تستهدفه كافة الشعوب والامم حتى يسعى كل فرد وهيأة في المجتمع، واضعين على الدّوام هذا الاعلان نصب أعينهم، الى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ اجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الاعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

اشتدت الدعوة الى احترام هذه الحقوق والتزامها اثر الحرب العالمية الثانية، وما شهدته من مجازر وحشية، ذهب ضحيتها الملايين من الرجال والنساء والاطفال، رمياً بالرصاص، او قتلاً بالغازات السامة الخانقة، فضلاً عن استعمال مختلف اساليب التعذيب الوحشي كالكي بالنار، ونزع الأظفار، وفرض الاشغال الشاقة[١٥].

ولا يتسع البحث للاستطراد في تفاصيل المواثيق الدولية في الموضوع، لا بد من تأكيد الآتي:

ان انبياء الله وخلفاءهم يبلغون عن الله، وان الرسالات الإلهية ستبقى حجماً على الفكر الوضعي، قديمة وحديثة، مهما بدا سائغاً، فحقائق الله مطلقة، متحررة من قيدي الزمان والمكان، وحقائق الانسان نسبية، مقيدة بقيديهما، وهي وليدة الحضارة التي افرزتهما.

٧. ان المواثيق الدولية صيغت بلغة فضفاضة ينتابها كثير من الغموض، لعدم استنادها الى رؤية كونية شاملة للعالم، محددة المعالم، واضحة الأسس، في حين تستند الرؤية الاسلامية الى أسس واضحة قوامها عبودية الانسان لله وحده وقد خلق لمسيرة تكاملية تنتهي بلقاء الله، وهو مسؤول عما يعتقد ويفعل، ملاقٍ جزاءه في حياة ابدية خالدة.

٨. تتحدّث المواثيق الدولية عن حقوق الانسان ولم تتحدث عن واجباته[١٦]، فافتقرت الى معادلة متوازنة، وعلى التوازن يقوم نظام التكوين، وعليه ينبغي ان يقوم نظام التشريع السليم، فالإنسان الذي يمكن ان نتصور له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبيعته عناصر فطرية، تولد معه وتبقى معه، وهي تتطلب

في الواقع مسيرة معينة اذا خرج عنها خرج عن الصفة الانسانية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٧] ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[١٨]. واذا عومل معاملة تخالف فطرته كانت تلك الممارسة ممارسة انسانية[١٩].

٩. حقوق الانسان في ضوء المواثيق الدولية حقائق وجدانية لا نستطيع الاستدلال عليها الا بها... فبالوجدان نصل الى ما نقطع من احكام عقلية تشكل اسساً لمعرفتنا كلها، وبه أيضاً نصل الى ما نؤمن به جميعاً من حسن الافعال، او[٢٠] قبح فيها، لتبنى عليها كل البنى الاخلاقية والاجتماعية.

١٠. يبقى السؤال قائماً امام تلك المواثيق الدولية، عاجزة عن الاجابة: كيف يثبت حق لشخص؟ وما منشأ الحق وأصله؟ وجواب الاسلام: الله منشأ الحقوق، اذ له وحده حق التشريع، وافعاله ناشئة من الحكمة والرعاية للمصالح الواقعية، وقد خلق الانسان ليصل بسلوكه الاختياري الى سعادته الابدية، وكماله، بالقرب من ربه الكريم، فشرع ماله من الحقوق، وما عليه من الواجبات[٢٢].

الإمام الحسين عليه السلام وحقوق الإنسان:

لقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام مثلا أعلى في الانسانية في معاملته لأعدائه ولأوليائه بل تجاوز ذلك في معاملته فرسه، فقد روي: ان الحسين عليه السلام حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة، واقحم الفرس على الفرات، فلما اولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام:

انت عطشان وانا عطشان والله لا ذقت الماء حتى تشرب، فلما سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام رفع رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام فقال الحسين عليه السلام: فأنا اشرب، فمد الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء فقال فارس: يا ابا عبدالله تتلذذ بشرب الماء وقد هتكت حرمك.فنفض الماء من يده وحمل على القوم، فكشفهم فإذا الخيمة سالمة[٢٣].

الاول: حق الحياة

الحياة هبة الرب الرحمن الرحيم لخلقه، ليس لأحد ان يستلبها منهم الا بالحق، الذي تقرره شريعته سبحانه، وحين سأل الرسول صلى الله عليه وآله امير المؤمنين عليه السلام (ما اول نعمة بلاك الله عز وجل وانعم عليك بها؟ قال: ان خلقني جل ثناؤه. ولم أكُ شيئاً مذكوراً.قال صدقت، فما الثانية؟ قال: ان احسن بي اذ خلقني فجعلني حياً لا ميتاً)[٢٤]، فلو انتفى هذا الحق لكان خلق الله الانسان عملية عبثية لا حكمة من ورائها، ﴿سُبْحانَهُ وتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كبيراً﴾[٢٥]، ولتوقفت حركة الانسان في مسيرته التكامليّة[٢٦].

لذا قرر القرآن الكريم ان قتل النفس البشرية اعتداء على الانسانية كلها، فقال سبحانه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢٧].

ومن حقوق الانسان ان يشعر بالأمان على حياته، بل ليس ما هو أهم من هذا الشعور، ومن دونه ينتفي الشعور بالسعادة الفردية وتتعطل قدرات الانسان على الأداء السليم لأعماله في حياته اليومية[٢٨].

لقد حفظ الإمام سيد الشهداءعليه السلام حق حياة الانسان في وقائع منها:

ساقي عطاشى الاعداء وخيولهم

حين كان موكب الثورة يغذ سيره الى العراق، جاء القوم، وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي، حتى وقف هو وخيله مقابل الإمام الحسينعليه السلام في حر الظهيرة، فقال الإمام الحسينعليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفا، ففعلوا حتى ارووهم واقبلوا يملؤون الاواني من الماء ثم يدنونها من الفرس حتى سقوا الخيل كلها.ولم يكتفِ سيد الشهداء بذلك بل سقى بيده الشريفة فارساً متأخراً من الاعداء يقال له علي بن الطعان المحاربي[٢٩].

ان الماء في هذا الموقف يعني الحياة، اذ كاد الحرّ وجيشه ان يهلكوا عطاشى في الصحراء، ولّما وهب الماء لأعدائه يعني أنّه وهب الحياة لهم، ولخيولهم ايضاً.

١. رجل السلام

لم يبدأ الإمام أعداءه بالقتال على الرغم من مختلف صور العداء منهم، فحين استقبله الحر بفرسانه الألف قال له زهير بن القين: انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله، وان قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به؛ فأجابه الإمام الحسينعليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال[٣٠].

وفي صبيحة عاشوراء، والمعركة تكاد تبدأ إذ اقبل القوم يجولون حول بيوت الحسينعليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب

الذي كان ألقي فيه فنادى شمر بن ذي الجوشن عليه اللعنة بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت النار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: «من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن» فقالوا: نعم، فقال له يا ابن راعية المعزى، انت اولى بها صلياً. ورام مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم فمنعه الحسين من ذلك، فقال له: دعني حتى ارميه فإن الفاسق من عظماء الجبارين، وقد امكن الله منه. فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه، فإني اكره ان ابدأهم[٣١].

ان للإنسان، من زاوية حقوق الانسان، حق الدفاع عن نفسه، فإذا ما قوتل كان دفاعه عن نفسه شرعياً والامام الحسين عليه السلام لم يمنح اعداءه هذا الحق ابداً، بل احتفظ به لنفسه فكان قتاله دفاعاً شرعياً عن النفس والمال والعرض.

٢. رجل المساواة في الانسانية

البشر نظائر في الخلق. بلا تمييز فهم سواسية اخوة من حيث إنهم بشر، وقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام هذا الحق بأبهى صورِهِ، اذ جاء في رواية الواقعة ان الإمام الحسين عليه السلام وقف على ولده علي الاكبر بعد استشهاده (ووضع خده على خده وقال قتل الله قوماً قتلوك ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا)[٣٢].

وحين قتل أسلم بن عمرو وهو مولى الإمام الحسين، وهو غلام تركي، جاءه الحسين ووضع خده على خده ففتح عينه ورآه فتبسم، وفارق الحياة[٣٣].

يا له من موقف عظيم يتدفق انسانية ونبلا فهذا الإمام سيد الشهداء يضع خده مرة على خد ولده الاكبر، واخرى على خد غلام تركي.. انها انسانية

الاسلام، المدرسة التي تخرّج فيها الإمام الحسين عليه السلام.

ومما جاء في المادة الاولى من الاعلان العالمي لحقوق الانسان انه: يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضاً بروح الاخاء، «ومما جاء في المادة الثانية منه: لكل انسان حق التمتع بكل[٣٤] الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان، من دون اي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر او اللون او الجنس او اللغة او الدين او الرأي السياسي، او الاصل الوطني او الاجتماعي او الثروة او الميلاد او اي وضع آخر، من دون أي تفرقة بين الرجال والنساء، ولا زيادة فيه عما جاء في العهد سوى التفاصيل.

الثاني: حق الكرامة

قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَات وفضّلْناهم على كَثيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٣٥] تشير الآية الكريمة الى ثلاثة اقسام من المواهب الإلهية التي حباها الله لبني البشر[٣٦]:

اولاً: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ربما قدم الله تعالى موهبة الحركة في البر والبحر على المواهب الاخرى، لأن الإفادة من الطيبات لا تحدث حركة، وحركة الانسان على الارض تستلزم وسيلة نقل، او ان السبب هو اظهار سلطة الانسان على الارض كلها فلكل نوع من انواع الموجودات سلطة على جزء محدود منها، اما الانسان فإنه يحكمها بَرّها وبحرها وهوائها.

ثانياً: ﴿وَرَزَقْناهُم مِّنَ الطَّيِّباتِ﴾، مع الالتفات الى سعة مفهوم (الطيب)

الذي شمل كل موجود طاهر تتضح عظمة وشمولية هذه النعمة الإلهية الكبيرة.

ثالثاً: ﴿وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلاً﴾.

الفرق بين (كرّمنا) و(فضّلنا) ان (كرّمنا) اشارة الى المواهب الموروثة للإنسان، في حين (فضلّنا) اشارة الى الفضائل المكتسبة، وان كانت بتوفيق من الله، وان (كرّمنا) اشارة الى الجوانب المادية، اما (فضّلنا) فهي اشارة الى المواهب المعنوية، لأن كلمة (فضّلنا) غالبا ما تأتي في القرآن بهذا المعنى.

الآية الكريمة تثبت كرامة تكوينية للإنسان، لماذا؟ بعض المفسرين يعزو سبب التكريم لقوة العقل، وتعدد الاستعدادات وحرية الارادة، وبعضهم يعزوه الى جسم المتزن العمودي، وبعضهم يعزوه الى الاصابع التي تمكن الانسان من القيام بوساطتها بمختلف الاعمال الدقيقة، ومنها القدرة على الكتابة، وبعضهم يعزوه الى الانسان هو الكائن الوحيد الذي يأكل طعامه بيده.او لتسلطه على الكائنات الارضية جميعا.او الى قدرة الانسان على معرفة الله، وعلى اطاعة اوامره.

ولا مانع من القول: ان التكريم يتجلى من خلال جميع هذه المواهب وغيرها. ان للإنسان امتيازات كثيرة على باقي المخلوقات، ففضلا على الامتيازات الجسمية، للإنسان الاستعدادات والقدرات الكبيرة التي تؤهله لطي مسيرة التكامل على نحو غير محدود.

الانسان هو الكائن الوحيد الذي يتكون من قوى مختلفة، مادية ومعنوية، جسمية وروحية، ينمو وسط المتضادات، وله استعدادات غير محدودة للتكامل والتقدم.قال امير المؤمنين عليه السلام: «ان الله عز وجل ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما فمن غلب عقله شهوته

فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم»[٣٧]. ولكن هل البشر جميعا افضل من الملائكة، بين البشر الكفار والمجرمون والظالمون، وهم من اسوأ خلق الله... الجواب: نعم، جميع البشر افضل، ولكن بالقوة والاستعداد، يعني ان الجميع يملكون القابلية ليكونوا افضل، ولكنهم اذا لم يفيدوا منها سقطوا في الهاوية.

يرى آية الله محمد تقي مصباح اليزدي ان الآية الكريمة في مقام بيان تفوق الانسان في القوة والاستعداد الوجودي بالنسبة لسائر الموجودات، وليس لإثبات حق للإنسان، بل العكس فإنها بصدد بيان هذه النقطة المهمة، وهي: اننا قد وهبنا للإنسان كثيراً من النعم، فعليه ان يؤدي وظيفته في العبودية لله تعالى واذا فرضنا امكانية استنباط حق قانوني للإنسان من هذه الكرامة، فذلك لا يعني حفظ كرامته وان ارتكب افظع الجرائم، اذ يصبح الانسان احياناً بتصرفاته الاجرامية أسوأ من اي حيوان آخر[٣٨] ويخلص الى القول: «ان الكرامة التي وهبها الله للإنسان لا توجب الفخر والشرف لجميع الناس، وان ما يوجب الفخر والشرف يتوقف على افعال وتصرفات الإنسان[٣٩] الاختيارية، وكيف يستفيد[٤٠] من النعم الإلهية لتحقيق الكمال الانساني[٤١].

يرى الباحث على قصر الباع وقلة العدّة، ان القرآن الكريم يثبت للإنسان كرامتين: احداهما: تكوينية موروثة، والاخرى مكتسبة بالتقوى، قال تعالى ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٤٢] فإذا أضاع الثانية حرم الأولى كما يحرم حق الحياة بقتل غيره ظلما، أو الإفساد في الأرض.

ومن مظاهر حفظ كرامة الإنسان عند الإمام الحسين عليه السلام موقفه من ألّذ اعدائه شمر بن ذي الجوشن إذ جاء حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال أين بنو أختنا يعني العباس وجعفر وعبدالله وعثمان أبناء علي عليه السلام فقال الحسين عليه السلام أجيبوه وإن كان فاسقا... فقال له: ماذا تريد؟ فقال له: أنتم يابني أختي آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين وألزموا طاعة يزيد.فقالوا له: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟![٤٣].

وينضوي هذا الموقف أيضا في حق حرية التعبير عن الرأي، وحرية الرأي تعني: ((حق الشخص بإبداء رأيه أو عدمه))[٤٤].

هذه صور مشرقة من وقائع ثورة الإمام الحسين عليه السلام جسد فيها الإمام سيد الشهداء مثلا أعلى في الإنسانية والنبل ولا غرابة فرسالات الله التي تخرج الحسين في أكملها هي التي أعطت الإنسانية حقوقه المشروعة.

الهوامش

- القرآن الكريم.

(١) ينظر الى ليلة عاشوراء في الحديث والأدب ١٠٧-١٠٨.
(٢) مفردات غريب القرآن ١٢٥-١٢٦.
(٣) نهج البلاغة، خ٢١٦، ٢/ ١٩٨.
(٤) كنز العمال ١/ ٧٢، الحديث ٢٨٣.
(٥) شرح نهج البلاغة (الموسوي) ٣/ ٤٩٧.
(٦) في البقرة ٣٦، والأعراف: ٢٤، وطه ١٢٣.
(٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١١٩-١٢١.
(٨) المؤمنون ٣٧.
(٩) الروم ٣٠.
(١٠) حقوق الإنسان (التّسخيري)، المقدمة ٥.
(١١) ينظر حقوق نفسه، المقدمة، ٧-٨.
(١٢) ينظر: نفسه، المقدمة ٧.
(١٣) في الاصل (كآدمي)، والصواب ما اثبته.
(١٤) حقوق الانسان (د. عبدالكريم) ٧.
(١٥) ينظر حقوق الانسان (د. عبدالكريم علوان) ٨.
(١٦) النظرية الحقوقية في الاسلام ١/ ٢٨٧.
(١٧) الحشر ١٩.
(١٨) الأعراف ١٧٩.
(١٩) حقوق الانسان (التّسخيري) ١٧-١٨
(٢٠) في المطبوع (و)، والسياق يقتضي (أو).

(٢١) حقوق الانسان (التّسخيري) ٢١-٢٢.
(٢٢) ينظر: النظرية الحقوقية في الاسلام ١/ ٢٦٩-٢٧١.
(٢٣) بحار الانوار ٤٥/ ٥١.
(٢٤) الامالي ٤٩٢.
(٢٥) الإسراء ٤٣.
(٢٦) النظرية الحقوقية في الاسلام ١/ ٢٨٣.
(٢٧) المائدة ٣٢.
(٢٨) ينظر: نظرية الحريات العامة ٥٥.
(٢٩) ينظر: تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٢.
(٣٠) ينظر: تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٩.
(٣١) ينظر تاريخ الطبري/ ٤/ ٣٠٩، والكامل ٤/ ٥٢.
(٣٢) الارشاد ٩٦.
(٣٣) اللهوف في قتلى الطفوف ٦٨.
(٣٤) ينظر: بحار الانوار ٤٥/ ٣٠.
(٣٥) في الاصل مترجم (بكافة)، والصواب ما اثبته.
(٣٦) الإسراء ٧٠.
(٣٧) ينظر: الامثل ٧/ ٣٤٧-٣٥٢.
(٣٨) بحار الانوار ٥٧/ ٢٩٩.
(٣٩) ينظر: النظرية الحقوقية في الاسلام ١/ ٢٩٤.
(٤٠) الصّواب: افعال الانسان وتصرفاته.
(٤١) الصّواب: يفيد.
(٤٢) نفسه: ٢٩٦.
(٤٣) الحجرات ١٣.
(٤٤) لواعج الاشجان ١١٦.
(٤٥) نظرية الحريات العامة ٧١.

المصادر:

١. الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام، تحقيق، التراث، الطبعة الثانية، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣، طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٢. الأمالي للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع/ قم، ١٤١٤هـ.

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لآية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ٢٠٠٧.

٤. بحار الأنوار، للعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة، الناشر، مؤسسة الوفاء: بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣.

٥. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٦. حقوق الإنسان للدكتور عبدالكريم علوان.

٧. حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، للشيخ محمد علي التسخيري، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مديرية الترجمة والنشر، طهران، ١٤١٨هـ.١٩٩٧م.

٨. شرح نهج البلاغة، للسيد عباس الموسوي، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٩. الكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر-دار بيروت للطباعة والنشر، مطبعة دار صادر - داربيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

١٠. كنز العمال للمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير، الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، ١٤٠٩-١٩٨٩م.

١١. اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الناشر: أنوار الهدى،

الطبعة الأولى، مطبعة مهر، قم-ايران، ١٤١٧هـ.
١٢. لواعج الأشجان، للسيد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣١هـ.
١٣. ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، للشيخ عبدالله الحسن، الطبعة الاولى، مطبعة بهمن، ١٤١٨هـ.
١٤. مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، مكتب نشر الكتاب، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
١٥. الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، ج٢، الناشر، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، بلا سنة طبع.
١٦. نظرية الحريات العامة، للدكتور حسان محمد شفيق العاني، الناشر: العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، توزيع المكتبة القانونية، بغداد، طبعة منقحة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨.
١٧. النظرية الحقوقية في الإسلام، لآية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: وليد مؤمن، أشرف على الترجمة: الشيخ عبدالمنعم الخاقاني، الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨.
١٨. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام شرح: الشيخ محمد عبده، الناشر: دار الذخائر، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، قم، إيران، ١٤١٢هـ-١٣٧٠ش.